جُمَانَةُ القرّاء أرجوزة في الرّسم القرآنيّ،
من نظم الحاج عبد الرّحمن حفصي.(دراسة وصفيّة).

إعداد:أ. محمد بن عبو

جامعة أدرار.الجزائر.

Abstract

With a history that is both old and significant, Tidikelt was once and still is the land of Islamic intellectuals who have made innumerable contributions in the field of 'El- Fikh' , 'El-Oussoul', 'El-Faraïd' and other Quranic sciences. El hadj Abderrahman HAFSI ,born in Aoulef Adrar ; is one of them and This paper discusses landmarks in his life together, namely: Djoumana El Korra in Quranic sciences …WOORDS CLAUSE Tidikelt-Fikh-Hafsi-Djoumanaa.

الملخّص :

منطقة « تيديكلت» منطقة موغلة في أعماق التّاريخ، شهدت ثلّة من العلماء الأجلاّء الذين نبغوا في مختلف العلوم والفنون خصوصا منها العلوم الدّينية من فقه ، وفرائض ، ومختلف علوم القرآن ... وعلوم لغويّة من نحو، وصرف ، وشعر ، وبلاغة ... كما حرصوا على تعليمها الكبار والصّغار، إن في صورة فرديّة كما الحال في الكتاتيب ، وإن في صورة جماعيّة كما في المجالس. ولم يتوقفّ الأمر عند هذا الحدّ، بل أنشأوا ينظمونها في متون ، ويحرصون على تعليمها وتحفيظها، إدراكا منهم لأهميّة المتن باعتباره الوعاء الذي يحفظ أيّ علم من العلوم ، والوسيلة التي أسهمت في تأهيل كثير منهم لتولّي عملية التّدريس، والخطابة ...وفي هذه الورقة سأتحدّث عن علم من أعلام منطقة تيديكلت الحاج عبد الرّحمن حفصي من خلال قراءة في مؤلّفه "جمانة القرّاء " ودراستها دراسة وصفيّة بغرض التّعريف بها ، لينهل منها الدّارسون كلّا بحسب تخصّصه... وبالله التّوفيق .

مدخل تمهيديّ

القرآن الكريم كتاب أُحكمت آياته ثمّ فُصّلت من لدن حكيم حميد ، كتاب الله الخالد الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، أعجز أرباب الفصاحة وأساطين البلاغة على أن ياتوا بمثله فعجزوا ، بل بعشر سور مثله فنكصوا ، بل بآية مثله فانقطعوا ، وحقّ عليهم قوله تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ . تدبّره عبادة وتلاوته سعادة ، والعمل به منجاة وهو مأدبة الله التي لا ينفد زادها ، ولا ينضب معينها ، ولا يملّها أهلها ، وهو دواء لكلّ الأدواء ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يومنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ﴾ .ومن أجل تحقيق السّعادة في الدّارين فقد انبرى العلماء يخدمون الكتاب كلّا بحسب تخصّصه حفظا وتدوينا وتفسيرا واستنباطا ، وبحثا عن لطائفه وأسراره وغرائبه ...والعمل به إن على مستوى العادات ، وإن على مستوى العبادات وإن على مستوى المعاملات...مستنبطين منه ما من شأنه أن ينفع الأمّة دينا ودنيا . وممّن كتب في غريبه أبو بكر النّيسابوريّ رحمه الله تعالى ، ومّن نظموا في هذا الغريب للعالم المذكور آنفا، الحاج عبد الرّحمن حفصي ، والذي سأعرّفه بإيجاز قبل الانتقال إلى دراسة منظومته الغريبيّة (جُمَانَةُ القُرّاءِ)

أوّلا : تعريف موجز بالمؤلّف.

الحاج عبد الرّحمن حفصي » علم من أعلام منطقة آولف « تيديكلت» وُلد فيها سنة 1932م ، وفيها نشأ ، نشأ في حي « تقرّاف» ، وينتمي إلى عائلة محافظة ، انمازت بحبّ العلم والمعرفة ، تلقّى مبادئ تعليمه الأولى على يد أبيه وجدّته خديجة ، وعلى يد الشّيخ «امحمّد دادّة » [1] – رحمهم الله جميعا .

سألت الشّيخ« بوسليم احمادو » (إمام ومدرّس بمنطقة عين صالح) عن الشّيخ الحفصّي ، فقال لي : « الشّيخ حفصيّ » من عائلة علم وتواضع ، شأنه شأن أبيه ، ثمّ تلا عليّ قوله تعالى: ﴿ وكان أبوهما صالحا﴾ الـ كـهف ، من الآية :82. بعدما تلقّى الشّيخ مبادئ تعلّمه الأولى في مسقط رأسه – كما ذكرت سلفا ، وعلى يد من ذُكروا آنفا – يمّم شطر مدينة " سالي» ليلتحق بالمدرسة الطّاهريّة الإدريسيّة وينهل من معينها الصّافي، رفقة ثلّة من الرّفاق وقد نبغوا في علوم عدّة ، ومنهم الشّيخ بلعالم محمّد باي رحمه الله ، وابن خاله عبد الكريم (وهما من منطقة« أقبلي» (ضاحية من ضواحي مدينة آولف وقد أشرت إليها سلفا) ، والسّيد محمّد الرّقّانيّ من منطقة« رقان»، والشّيخ الزّاوي من منطقة «عين صالح» بالجنوب الجزائريّ) ...قال الشّيخ : « زملائي كثر إلّا إنّ طول الزّمان مدعاة للنّسيان » [2]

هذا ولقد حصّل شيخنا علوما كثيرة من فقه وتوحيد ، وميراث ، ونحو ، وصرف طيلة ثماني حجج (1949م إلى 1957م) ، حيث عاد إلى منطقة «آولف» ، واشتغل بالتّدريس بقصر مولاي المهدي (ضاحية من ضواحي مدينة «آولف » ، ثصمّ انتقل إلى مدينة «عمّنات » (ضاحية من ضواحي مدينة« آولف » كذلك، ليشتغل إماما ومدرّسا بمسجد الإمام البخاريّ – رضي الله عنه – خلفا لوالده الذي كان مدرسّا بالمسجد المذكور آنفا .

تلقّى الشّيخ الإجازة عن شيخه« الطّاهر الإدريسيّ » بالبقاع المقدّسة عام 1959م ، في حجّته الأولى ، ومنذ سنة 1962م ، صار شيخنا موظّفا تحت وصاية وزارة الشّؤون الدّينيّة . وقبل تقاعده الصّوري بسبب العجز من جرّاء المرض الذي ألمّ به فلم يزل يّعطي ويّعطي ، ويّصلح ذات البين ، ويشعّ بضياء المعرفة دون أي يركن إلى المرض الذي ألمّ به ، يفيد كلّ من يزوره أو يسأله من غير كلل أو ملل ، أو حرج ...ومن خلال زياراتي المتكرّرة له ، وملاحظاتي إقبال النّاس عليه من كلّ حدب وصوب ، بل وتواضعه إلى درجة يحسبه المرء خالي الوفاض ، إلّا إنّه كنيف علم ، وكما قال الحسن البصريّ – رضي الله عنه – عندما مرّ بمجلس أبي عمرو بن العلاء ذات مرّة – وكان الطّلّاب يتعلّمون فيه القراءات بمسجد البصرة – وشاهد ازدحام الطّلّاب فيه ن فقال : « لا إلاه إلّا الله ، كاد العلماء أن يكونوا أربابا ، كلّ عزّ لم يوطّد بعلم ن فإلى ذلّ يؤول»[3]

ولم يزل شيخنا يؤلّف ويؤلّف ؛ فقد زرته عشية الاثنين 2009/03/23م مساء في بيته ب«عمّنات» فوجدته عاكفا على تأليف منظومة صرفيّة بعنوان : « فتح العلي القادر في نظم الأسماء المشتقّة وأوزان المصادر » [4] . فضلا عن أنّ له مؤلّفات عديدة في مختلف العلوم والفنون ، منظومة ، أومنثورة ، تنيف عن الخمسة والعشرين مؤلّفا غير مطبوع ، ومنها :فتح الكريم الواجد نظم مقدّمة الأزهريّ خالد – فتح الصّمد الخلّاق في مواعظ وحكم وأخلاق (ألف وخمسين بيتا 1050)– زهور أهل الوقت(268 بيتا)– واسطة العقد الثّمين (نظم مسائل في قضاء حاجة الإنسان 177بيتا) – درّة الأطفال في نصائح تنفعهم في الحال والمآل (240بيتا) – إزالة الدّجنة عن من لّعنوا في الكتاب والسّنّة (196بيتا) الغرّة في الجبين لأوجه كلم المبين(180 بيتا) – مضيئة السّبيل لمن يفي أسامي الخليل – الإنارة على معالم القبض – جواهر الخصائص للمبرئ من النّقائص – رياحين المسامرة في الوعظ والإرشاد والآداب – الأترجّة الجنيّة في النّاسخ والمنسوخ البهيّة – جمّانة القّراء في الرّسم القرآنيّ – منظومة في تحديد السّبع بالحروف والنّصف والرّبع...فضلا عن خوضه غمار الشّعر ، لا سيما غرض الرّثاء إذ إنّ له مراثي عديدة ، منها مرثية قالها في شيخه الشّيخ الطّاهريّ الإدريسيّ – مرثيّة قالها في الشّيخ سيدي محمّد بلكبير –مرثية قالها في الشّيخ باي بلعالم ...فمراثيه اقتصرت في العلماء الأعلام الذين تعدّ موتهم مصيبة وخسارة ...

ثانيا : تعريف بالمُؤلّف

الحديث عن« جمانة القرّاء» في الرّسم القرآنيّ يُفضي بي إلى الحديث عن مصطلح الرّسم وإن بشيء من الإيجاز... فالرّسم[5] لغة هو الأثر ويرادفه الخط والكتابة والزّبر والرّشم (بالشّين) والرّقم ، وهو أيضا تصوير اللّفظ بحروف هجائيّة ، والرّسم يدلّ على اللّفظ ؛ وهو أيضا تصوير اللّفظ مع تقدير الابتداء به والوقف عليه، وهو نوعان : قياسي واصطلاحيّ . فالقياسي هو تصوير الحروف الهجائيّة بتقدير الابتداء به والوقف عليه، وله أصول خمسة ، وهي : 1/ تعيين نفس الحروف الهجائيّة دون أغراضها . ب/ عدم النّقصان منها . ج/ عدم الزيادة فيها و/ فصل اللّفظ ممّا قبله مع مراعاة الملفوظ به في

الابتداء . ي/ فصل اللّفظ ممّا قبله مع مراعاة الملفوظ به في الابتداء ومراعاة الابتداء لهذه القواعد ...[6] ومن أمثلة ذلك ، رسم همزة الوصل ، ورسم التّنوين المنصوب ، ونون إذا ، ونون التّوكيد الخفيفة ألفا ، نحو: * ليسجنن وليكونا من الصّاغرين *بوسف:32 .وقوله تعالى : *لنسفعا بالنّاصية* العلق:16، ومن الأمثلة أيضا رسم تاء التأنيث هاء ، وسأتطرّق إليها ضمن الحديث عن مضمون هذه الجمانة.

الرّسم اصطلاحا : الرّسم الاصطلاحيّ ، ويسمّى الرّسم العثمانيّ ، وهو الرّسم الذي كتبت به المصاحف التي أمر بها سيّدنا عثمان بعض الصّحابة حفظا للقرآن الكريم ، وهم من كتبة الوحي ، وعددهم اثنا عشر صحابيا ، يرأسهم سيّدنا عثمان بن عفّان ، وإشراف سيّدنا زيد رضي الله عنهم [7]. وقد ظهر الرّسم بنزول التّنزيل فكُتِب بأمر من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لكتّاب الوحي رضي الله عنهم أجمعين ، وقد تكلّمت عنهم سلفا . أرشدهم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى كتابة الوحي في وقت نزول القرآن الكريم ، وأمرهم بالكتابة والتّوجيه لاسم السّورة والآية التي تُوضع فيها . أمّا حدّه فهو علم يبحث فيه عن كيفية كتابة الألفاظ مع مراعاة حروفها لفظا أو اصطلاحا ، أو هو علم يعرف به مخالفة المصاحف العثمانيّة لأصول الرّسم القياسيّ ...[8].أمّا موضوعه فهو يبحث في كتابة المصاحف العثمانيّة من حيث الشّكل الهيكليّ للكلمة القرآنيّة ، مثل كلمة "كُلٌ ما –كلّما " فصلا ووصلا . وسأعرض نماذج من المنظومة في هذا الشّأن . أمّا واضعه فهم علماء الأمصار، وأمّا حكمه فالوجوب الكفائيّ ، وأمّا مسائله فهي الكلمات القرآنيّة من حيث ماهيتها وكيفية كتابتها ، وأمّا فضله على غيره فهو كفضل القرآن على سائر العلوم الأخرى ،وأمّا فوائده فهي حفظ المرسوم من القرآن الكريم وصونه من الخطإ والزّيف؛ لأنّ الكتابة تنوب عن الكلام ، والخطأ في مرسوم الكلمة القرآنيّة يُعتبر لحنا ...[9]

ثالثا :أ/ وصف منظومة جُمَانَةُ القُرّاءِ:

تعريف بالعنوان:

«جمانة » الجُمان ، والواحدة جمانة : اللّؤلؤ (فارسيّة)[10] ، واللّؤلؤ جوهر ثمين وهذا النّظم يعتبر بحق لؤلؤة لارتباطها بأسمى العلوم لأسمى كتاب ، ألا وهو الرّسم القرآنيّ .

جُمَانَةُ القُرّاءِ أرجوزة[11] في الرّسم لبعض كلمات القرآن ، نظمها الشّيخ الحاج عبد الرّحمن حفصيّ ، إمام ومدرّس بمسجد الإمام البخاريّ ، بأولف ، نظمها من أصل لها يتمثّل في تفسير غرائب القرآن للنّيسابوريّ ، بغرض تيسير فهم بعض أحرف المصحف الشّريف كما ذكر صاحبها في مطلعها ، وقد قسّمها إلى فصول بعضها له عنوان ، وبعضها الآخر من دون عنوان وخلص صاحبها في النهاية إلى ذكر اسمه وتاريخ انتهائه من تأليفها وعدد أبياتها ،والذي بلغ ثلاثمائة وثمانية وثلاثون بيتا (338)، مكتوبة بجهاز الحاسوب ، موزّعة على تسع وسبعين مادّة ، سمّى كلّا منها فصلا، مثلا : فصل في كتب بسم الله (في أربعة أبيات)، فصل في كتبِ فيما(08أبيات) فصل في كتبِ ممّا (في03 أبيات) ، فصل في كَتبِ أنّما (بالفتح) وفيها بيت واحد، فصل في كتبِ إنّما (بالكسر) وفيه بيت واحد ، فصل في كَتبِ(لكيلا) من 04أبيات ، فصل في كتب بيسما (من 03أبيات) ، فصل في كتب أينما (من 04أبيات)،فصل في كتب ألّا(بالفتح والشّدّة) من10أبيات ،فصل في كتب إلّا (بالكسر) من بيتين ، فصل في كتب ألم (بالفتح) وفيه 04أبيات ، فصل في كتب إلّم (بالكسر) وفيه 04أبيات ، فصل في كتب أمّن وفيه 03أبيات ، فصل في كتب أمّا وإمّا وفيه بيتان ، فصل في كتب عمّا وفيه بيت واحد ، فصل في كتب ألّن وفيه بيتان ، فصل في كتب كُلّما وفيه 07أبيات ، فصل في كتب يومَهم وفيه 03 أبيات ، فصل في كتب الرّحمة وفيه 06أبيات ، فصل في النّعمة وفيه 08أبيات ، فصل في كتب امرأت وفيه 06 أبيات ، فصل في كتب سُنَت وفيه 05أبيات ، فصل في كتب معصيت وفيه بيتان ، فصل في كتب لعنة وفيه 03أبيات، فصل في كتب جنّة وفيه 03أبيات، فصل في كتب شجرة وفيه بيتان ، فصل في كتب قرّة وفيه بيتان ، فصل في كتب بقيّة وفيه بيتان، فصل في كتب الملإ وفيه 05أبيات، فصل في كتب يبسطُ وفيه بيتان ، فصل في كتب بصطة وفيه بيت واحد، فصل في كتب تقية وتقاتٌ وفيه بيتان ، فصل في كتب قرءانا وفيه04أبيات فصل في كتب الأيدي وفيه بيتان ،فصل في كتب الآن وفيه 03 أبيات ، فصل في كتب ساحر وفيه 05أبيات ، فصل في كتب السّموات وفيه بيتان ، ، فصل في كتب رَءَى وفيه 03 أبيات ، فصل في

كتب وما تُغني وفيه بيتان ،فصل غير معنون ومادّته الفعل يوتي(بالياء مرّة وبحذفها) مرّة أخرى ،وفيه بيتان ،فصل في كتب يمحو وفيه بيان ، فصل في كتب الدّاع وفيه بيتان ، فصل في كتب ثمود وفيه 05أبيات ، فصل في كتب وما أنت بهادي وفيه بيت واحد ، فصل في كتب ولؤلؤا من 03 أبيات ، فصل في كتب ابن أُمَ وفيه بيتان اثنان ، فصل في الأيكة وفيه بيتان اثنان ، فصل في كتب ذو06 وفيه أبيات ، فصل في كتب الرّبوا وفيه بيتان ، فصل في كتب لدى وفيه بيتان ، فصل في كتب بلِ إدّارك وإذا ادّاركوا وفيه بيتان ، فصل في كتب أيّه وفيه 05أبيان ، وبعده فصل بلا عنوان وهو من بيتين تضمّن ثلاث كلمات ، هنّ : (الرّسولا والسّبيلا والظّنونا) فصل في كتب أينّكم وفيها 04 أبيات ، فصل في كتب إنّ وأينّ وفيه 04 أبيات ، فصل في كتب أيذا من بيتين اثنين ، فصل من غير عنوان وهو من واحد وعشرين بيتا ومن خلال تفحصّ مادّته ألفيته في أغلبه يدور في فلك رسم الهمزة المتطرّفة على الواوفي أفعال وأسماء مقرونة بالألف فيهما معا ، نحو : شركاؤا –شفعاؤا– يعبؤا– تفتؤا– ينشؤا... وهلمّ جرّا وبعد هذا الفصل تسعة فصول غير معنونة تضمّنت على التّتالي الكلمات الآتية : من نباءى تلقاءى. ايتاءى–آناءى من 04 أبيات المجموعة الثّانية دعا سجى زكى أقصا ...وما جرى مجرى هذه الكلمات (من 10أبيات) ، المجموعة الثّالثة الحيواة – منواة – الزّكواة – الصّلواة –الغدواة(في 08 أبيات) – المجموعة الرّابعة (إذا لا– ليكونا – لنسفعا) من 04 أبيات ، المجموعة الخامسة من أفعال تضمّنت نون الوقاية مشفوعة بياء المتكلّم ، وأخرى مجرّدة من الياء ، على نحو : اخشوني –اخشون ، أخّرتني – نبغِي نبغِ– –هدان – هداني– كيدوني –كيدون – عبادي عباد ... وما جرى مجراها– (في 27 بيتا)، . المجموعة السّادسة وهي من أفعال ذوات واو الجماعة من غير ألف التّفريق (فاءو–باءو– جاءو –عتو– سعو– تبوّءو) في 03أبيات ، المجموعة السّابعة ، وهي من كلمتين وفي بيتين : أفاين مَتَ –أفاين مَات ، المجموعة الثّامنة (الخب ء – ملء– دفء) في بيتين اثنين فصل في كتب–(واثّاقلتم)في بيت واحد ، فصل في كتب تراب وهو في 03 أبيات ، فصل تاسع من غير عنوان في كتب (فالدّرتم من غير ألف بين الدّال والرّاء) من ثلاثة أبيات03،فصل في هاء السّكت (حسابيه– كتابيه– سلطانيه – ماليه – لم يتسنّه – ما هيه)في 04 أبيات – فصل في كتب (فمال)وهو منظوم في 05 أبيات ، فصل في كتب (بأيّيكم) وهو في بيت واحد ، فصل في كتب (كتاب) في 04 أبيات ، فصل في كتب لأجل في بيتين اثنين ، فصل في كتب (بنات) وهو في بيتين اثنين ، فصل في كتب (سيماهم) في 04 أبيات ، فصل في كتب (فيم) في 03 أبيات ، فصل في كتب (فنِعِمّا) في 03 أبيات ، فصل في كتب (لتّخذت) في بيتين اثنين ، فصل في كتب (أنا بالمدّ وبالفتح) في 09 أبيات تتلوها خاتمة من اثني عشر بيتا . سأتطرّق إلى افتتاحيتها وخاتمها، وسأنتقي شذرات منها...

ب/افتتاحية الأرجوزة (جمانة القرّاء) :

الحمد[12] لله الذي قد فتقـــــــــا	***	قلوب أرباب الحجا ذوي التّقـــــــى
وعلّم الإنسان مالم يعـــــــــلم	***	عليه أسبغ جزيـــــل النّعـــــــــم
ونـــوّر القلوب بالقـــــــــرآن	***	منـــيرة به فى كـــــــــــلّ آن
ثمّ الصّلاة والسّلام ما طلـــــــع	***	فجر ونجم غاب أو نور سطـــــــــع
على النّبيّ القرشيّ العربـــــــيّ	***	الهاشميّ العدنانيّ اليثربـــــــــيّ
وآله وصحبه فخر الدّجـــــــــى	***	من اقتفى سبيلهم فقد نجـــــــــى
وبعد[28] فاسمع يا أخي منظومـــه	***	رائقـة مفيدة مفهومـــــــــــه
سمّيتها جمانة القـــــــــــرّاء	***	تهدي أخا فـــــهم بلا امتـــــــراء
سمّيتها جمانة القـــــــــــرّاء	***	تهدي أخا فـــــهم بلا امتـــــــراء
لفهم بعض أحرف في المصحـــــف	***	جاءت خلاف بعضها كالتّحـــــــف

والأصل واحد ولكن اكتـــــــــف	***	بما أبانه فحول الســـــــــلف
نظمتها للسّهل من تفســـــــــير	***	غرائب القرآن والتّذكيـــــــــر
للنّيسابوري ذي المعالي الشّاهـــــره	***	فاحفل بها تحو علوما زاهـــــره
وربما حذفت بعضا شـــــــــذّا	***	وزدت بعضل لتمام اللّـــــــــذّه

ج/خاتمة الأرجوزة :

إنّ المطّلع على أواخر مختلف الأراجيز التي نظمها الشّيخ ، يجده صاحبها يذكر اسمه في نهايتها ، وعدد أبياتها ، وتاريخ الفراغ منها ، كما إنّه يوظف حساب الجمل سواء في التّاريخ لها من جهة ، كما يستخدم حساب الجمل في عدّه بعض المسائل ، يقول النّاظم :

ذاك الذي يُقري البنات والبنيـــــن	***	من الخطا حتّى يكونوا آمنيـــــــن
وهي لا شـــــكّ لكلّ طالـــــب	***	مفيدة في سائــر المـــــــــكاتب
عبد الرّحمن الأولفيّ حفصـــــــي	***	ولد إبراهـــــيم رهــن النّقـــــــص
نظمها لكي تتمّ الفائـــــــــده	***	وتبدو للقاري لـــــه مساعـــــــده
في عام أيتش من هجرة الأمـــين	***	في جمادي الثّاني من فضل المعـــــين
قد انتهى ما رمت جمعه وتـــــم	***	فالحمد للإله بارئ النّســـــــــم
ثمّ الصّلاة والسّلام ما نـــــــزل	***	قطر من السّماء للأرض هطـــــــل
عدّ الحصاة والرّمال والحجـــــر	***	وأنجم السّما وأوراق الشّجـــــــــر
على النّبيّ المضريّ من مضـــــر	***	وآله وجوههم ريم الحضـــــــــر
وصحبه وأمّهات المومنيـــــــن	***	ومن على نهجه سار أجمعيـــــــن
أبياتها سهل لكلّ من قـــــــرا	***	وجدّ في تحصيلها وشمّـــــــــرا

إنّ الذي يطّلع على مؤّلفات الشّيخ يلفها كلّها مبتدئة بالبسملة والحمدلة والصّلاة على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم اقتداء بالحديث الشّريف : كل أمر ذي بال لا يُبتدأ فيه بالبسملة والحمدلة فهو أبتر " أو كما قال عليه السّلام .فمثلا مطلع رياحين المسامرة :

الحمد لله وصلّى الله على نبيّه الذي اصطفـــاه

وآله وصحبه وأمّهـــــــــات	***	المومنين القانتات الطّاهـــــــــرات
وبعد إن شئت فخاطب السّمــير	***	بما يبين ممّا يُخفيه الضّميـــــــــر ،

ومثلا في غرّة الجبين نجد الافتتاحيّة كما يلي :

الحمد لله الذي قد حرّكـــــــا	***	قلبي لنظم رائق لعلّكـــــــــــا
تفهمه ويرتضيه بالـــكـــــــا	***	وينقشع بما فهمت جهلكـــــــــــا
به قويم منهج أن تسلكـــــــا	***	وتتبرّك به تبرّكـــــــــــا
وصلّ يا ربّ على نبيّـــــك	***	محمّد شفيعنا صفيـــــــــــك

وآله وصحبه وزوجـــــــــه	***	وكلّ من سلك في منهجـــــــــــه

ومثلا في فتح الكريم الواجد نظم مقدّمة الأزهري خالد ، نجد النّاظم يفتتحها بقوله :

الحمد لله الذي قد سهّـــــــلا	***	نظـــم الذي قد رمته وأهّـــــــلا
حمدا يوافي ما علينا قـــد أتم	***	به الجزيل من سوابغ النّعـــــــم
وآله وصحبه أولي الوفـــــا	***	من لم يُدانُوا علوا وشـــــــــرفا

وبعد...

ولو تأمّلنا مطلع اللّؤلؤة لألفينا الأمر كذلك ، يقول النّاظم :

الحمد لله الذي ألهمنـــــــي	***	لنظم ما ياتي كما علّمـــــــــني
ثمّ الصّلاة والسّلام كلّمـــــا	***	صلّى امرؤ حياته وسلّمـــــــــا
على رسول الله خير الخـــلق	***	وآله والصّحب أولي الرّفـــــــــق

وبعد...

د/ نماذج من الأرجوزة :

فصل في كتب بسم الله .

كُتِبَ بسم الله من غير ألــف	***	ثَبَتَ قبل السّين والفتـــح ألِـــــف
وحذفت لأنّها للوصـــــــل	***	تسقط في اللّفظ كثير الأصـــــــل
وكُتبت في غير بســـم الله	***	في جملة القرآن يا ذا السّاهـــــي
كفي اقرأ باسم سبّح اسـم ربّك	***	وبيس الاسم يا أخي افقـــــه ذالك

فصل في كتب هاء السّكت[13] .

للسّكت هاء كتبت في سبعـــة	***	مواضع في الذّكر للغمـــر انعـــت
تجد في الحاقة منها أربعـــه	***	واحدة في البكر أو في القارعـــــه
حسابيه كتابيه سلطـــانيـــه	***	وماليه لم يتسنّـــــه ما هيـــــه
كُتِب ذاك لبيان الحركـــــه	***	فبهداهم اقتده لا تتركـــــــــه

إنّ الذي يطّلع على هذا النّظم ، بل منطومات شيخنا ليلفها حافلة بالاقتباسات ، الاقتباس هو أن يُضمّن الكلام شيئا من القرآن الكريم ، أو من الحديث النّبويّ الشّريف ،لا على أنّه منه ،كقول الحريريّ البصريّ : " فلم يكن إلّا كلمح البصر أو هو أقرب حتّى أنشد فأغرب ..." وكقول الشّاعر :

خلّة الغانيات خلّة ســـــوء	***	فاتّقوا الله يا أولي الألبـــــــاب
وإذا ما سألتموهنّ شيئـــــا	***	فاسألوهنّ من وراء حجـــــــاب,

وقد حدّ بعضهم الآقتباس في قوله :

والاقتباس أن يُضمّن الكـلام	***	قرآنا أو حديث سيّد الأنـــــــام
والاقتباس عندهم ضربـــان	***	محوّل وثـــابت المعانـــــــي
وجائــز لوزن أو ســـــواه	***	تغيير ندر اللّفظ لا معنـــــاه

إنّ المتأمّل في نسيج أبيات هذه المنظومة عروضيا ليلفي الكثير من الأبيات فها ترتبط بما بعدها لتمام المعنى ، إذ البيت ههنا لم يستقل بمعناه ، وهذه السمة تدعى بالتّضمين ، وهي كثيرة في الأراجيز ، وقد عدّها البعض من عيوب القافية ما لم ياتي البيت اللّاحق تفسيرا أو وصفا للبيت السّابق ، أو مؤكّدا له ، أو بدلا ممّا قبله ، إذ لا يعدّ عيبا عند هذه الحالات ،لأنّ معنى البيت تمّ دون التّالي له . الّا أنّ أغلب العروضيين عدّه عيبا ،لأنّهم أرادوا استقلاليّة البيت بالمعنى كما تستقلّ كلّ أسرة بخيمة . ولكنّ التّضمين في الحقيقة يؤمّن التّماسك النّصّيّ أعني تماسك القصيدة ووحدتها العضوية ، ومن ثمّ ضمان صرامة هندسة بنائها والقضاء علي الفوضفي ترتيب الأبيات .

خاتمة :

1/إنّ القاريء لهذه الأراجيز بعين فاحصة باصرة تتجلّى له سعة أفق النّاظم ومدى امتلاكه ناصية اللّغة واستيعابه لكتاب الله تعالى ، من خلال كثرة الاقتباسات [14]، بل ومن خلا نظمها ضمن أبيات كذلك ، من جهة ، ومن جهة أخرى تتجلّى دلالة النّاظم على قوة التّحكّم في العروض ... فالمتون التي نظمها شيخنا ليست كلّها من بحر واحد{الرّجز كما اعتادوا }، ولعلّ هذا العلم الغزير الواسع في علوم القرآن خصوصا والفقه عموما لم يكن ليمنح إلّا لتقي ، وأحسب النّاظم كذلك .

2/كثير من البحثة والدّارسين يخفظون المتون، ولعلّ ما يسهّل عليهم عملية الحفظ هو عملية النّظم .

3/للنّظم فوائد جمّة أقلّها استظهار القاعدة ، سواء أكانت فقهية ، أم فقلغيّة ، أم نحويّة ، أم صرفيّة ... ، فضلا من أنّ حفظها كثيرا ما يسهّل عمليةاستيعاب العلم الذي نُظمت فيه ، ويوفر للدّارس مادة خامّا منه ، ويسّرعملية تطبيق قواعده تطبيقا سليما .

4/الجنوب الجزائري زاخر بالتّراث العلمي والأدبي ، ويحتاج إلى تظافر الجهود وشحذ الهمم لإخراجه من الأحقاق (الخزائن) إلى جمهور القرّاء ، فمن جد وجد .وخاصّة المتون ففيه منه العجب العجاب ، فضلا عمّا قد حفظته العوام من أهل المنطقة ههنا في الصّدور.

5/الحاج عبد الرّحمن حفصي علم من أعلام الجنوب الجزائريّ أفنى زهرة شبابه وسلامة شيبه ينظم وينثرمختلف العلوم مع قلّة إمكاناته المادّية إذ إنّ الكثير من مؤلّفاته لا تزال نسخا خطّيّة جديرة بالدّراسة ... فينبغي الالتفات إليه واستثمار جهوده في مدارسنا خاصّة، فهي بحقّ مادّة ثرّة خام في التّخصّصات اللّغويّة، والعلوم الإسلاميّة ، فلا بدّ من مقاربتها سعيا وراء النّفع العام ، بل وإنعاش المكتبة العربيّة الإسلاميّة على وجه الخصوص، وهذا قبل فوات الأوان .

6/نلمس حرص النّاظم كثيرا على الجانب الخلقي التّربوي من خلال بدئه في أي عمل ، وحريّ بالطلبة والبحثة والكتبة أن لا يغفلوا هذا الجانب : وما بكم من نعمة فمن الله .

7/ ألفت انتباه طلبة الدّراسات القرآنيّة على وجه العلوم ، كما ألفت انتبام معلمّي القرآن العظيم إلى هذه المنظومة التي من شأنها أن تساعدهم وتلاميذهم في الكتاتيب على الرّسم الصحيح لكلمات التّنزيل ، أثناء الدّراسة ، فضلا عن ذلك إنّ للنّاظم {الحاج عبد الرّحمن حفصي} منظومات عدّة في هذا المجال ، والتي من شأنهم أن يفيدوا منها الفوائد الجمّة كذلك.

الهوامش:

[1] - الشّيخ أمحمّد دادّا : علم من أعلام منطقة آولف ، وشيخ من شيوخ ناظم المتن (الحاج عبد الرّحمن حفصيّ) ، ينظرصفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة، دراسة تاريخية ثقافية واجتماعية عبد المجيد قدي ،د.ط،2006م، ص ص :121-129.

[2] - ذكر لي الشّيخ ذلك ، وذكر لي ثلّة ممّن درسوا معه ، في منتصف شهر ماي 2009م ،إثر زيارى من زياراتي المتكرّرة له ، وبحضور ابنه الإمام الحاج إبراهيم .

[3] - النّحو العربيّ ، نشأته وتطوّره ، مدارسه ورجاله ، صلاح روّاي ، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة ، د.ط، 2003م ، ص : 651.

[4] - لقد زرته يوم 2009/05/22م في السّاعة 18و 30 د مساء في بيته ب «عمّنات » وسألته عن آخر هذه المنظومة الجديدة ، فأخبرني بأنّه قد أنهى نظمها ، إلّا أنّ هناك بعض الأبيات لم يجد لها تتمّات بعد ، وسألته عن عنوان : الأزهريّ خالد مع أنّ اسمه خالد الأزهريّ فأجابني : قدّمت صفة الأزهري عن خالد ابتغاء الفاصلة ...وبحضور ابنه الإمام الحاج إبراهيم حفصي (إمام ومدرّس بمسجد الإمام البخاريّ

[5] - وأنا بصدد مطالعة تعريف الرّسم تبادر إلى ذهني بيت من قصيدة المرقش الأكبر من بحر السّرسع فأردت الاستشهاد به ، قال المرقش الأكبر : الدّار قفر والرّسوم كما رقش في ظهر الأديم قلم .

[6] -مذكّرة في رسم القرآن الكريم ، تأليف الشّيخ إبراهيم مقلاتيّ ، دار الخلدونيّة للنّشر والتّوزيع ، 05ن محمّد مسعودي القبّة القديمة ، الجزائر ، د.ط ، 2006، ص: 17، 18.

[7] - مذكّرة في الرّسم القرآنيّ ، سابق ، ص: 17-18.

[7] - المنجد في اللّغة والأعلام ، دار المشرق ، بيروت ،للنشروالتّوزيع المكتبة الشرقيّة ساحة النّجمة ، ص ، ب 1986، بيروت ، لبنان ، حرف الجيم ، ص: 102.

[8] - مذكّرة في الرّسم القرآنيّ ، سايق ، ص: 17-18.

[9] - المنجد في اللّغة والأعلام ، دار المشرق ، بيروت ، للنشروالتّوزيع المكتبة الشرقيّة ساحة النّجمة ، ص ، ب 1986، بيروت ، لبنان ، حرف الجيم ، ص: 102.

[10] - وما من مخطوط منظوم أومنثور تطلع عليه إلّا وتجده مبتدئا بالبسملة والصّلاة على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لاعتداد الفعل بهما وتمامه شرعا ، لقوله عليه السّلام : " كلّ أمر ذي بال لا يُبدأ فيه بالحمد لله " أقطع ...ينظر سنن ابن ماجة للبيهقيّ عن أبي هريرة حديث حسن ، الجامع الصّغير للإمام السّيوطيّ ج 2، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع ط1، 1401ه/1971م . وقد ذهب بعضهم إلى القول : " ينبغي لكلّ شارع في تصنيف أن يذكر ثمانية أشياء : البسملة والحمدلة والصّلاة والسّلام على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، والشّهادتين ، وتسمية نفسه ، وتسمية الكتاب ، والإتيان بما يدلّ على المقصود ، ولفظ أمّا بعد . ينظر الكواكب الدّرّيّة 3/1 نقلا عن التّعليقلت الوافية على شرح الأبيات الثّمانيّة للعلّامة عبد العزيز محمّد بن يوسف الهادي ، وينظر نحو الجمل ، تحقيق ودراسة مختار بوعناني ، دار الفجر للكتابة والنّشر ، وهران ، د.م.ج ، والمطبعة الجهويّة ، وهران ، يناير 1995 ، ص: 120.

. - ينظر الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدّين السّيوطيّ ، تحقيق عصام الحرستانيّ ومحمّد أبو صعيليك ، دار الجيل ، بيروت ، ط1، 1419ه/1998من ، ج1، ص : 290؟

- النّشر في القراءات العشر ، أبو الخير محمّد بن الجزريّ ، ،خرّج آياته زكريا عميرات ، دار الكتب العلميّة، بيروت ، لبنان ط2، 1423ه/2002م، ج1، ص : 190.

ينظر الإيضاح في علم البلاغة : المعانب والبيان والبديع ، تأليف الخطيب القزوينيّ ، تحقيق ودراسة عبد القادر حسين ، مكتبة الآداب ، 42 ميدان الأوبرا ، ط1، 1996، ص ص : 467–472.

وينظر الجوهر المكنون في الثلاثة فنون لعبد الرّحمن بن محمّد الأخضريّ نقلا عن مجموع مهمّات المتون يشمل 36متنا في مختلف العلوم والفنون ، تصحيح احمد سعد علي ، دار الكوثر، لبنان للطّباعة والنّشر والتّوزيع ، د.ط، د.ت ، ص: 735.